محـــــاضرة :

الفكر الجزائري الوسيط(عبد الرحمان الثعالبي)

أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف يرجع نسبه إلى جعفر بن أبي طالب ,ويلقب بالثعالبي نسبة إلى الثعالبة الذين استوطنوا متيجة.ولد الثعالبي سنة 785" بوادي يسّر يقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة الجزائر ويبعد عنها 86 ك.م ,وقد نشأ في هذا المكان وترعرع إلى أن أصبح شابا ,حيث تعلم على والديه ومعلمي المدارس في وقته مباديء العلوم وحفظ القرآن.

اتجه إلى بجاية ومكث بها سبع سنوات يأخذ من علمائها ويدرس عليهم مختلف العلوم ،ثم رحل إلى تونس عام 809 هـ ،ومكث بها حوالي ثماني سنوات التقى خلالها أكابر علمائها يقول : " ثم رحلت إلى تونس فدخلتها في أواخر تسعة وثماني مئة، أو أوائل عام عشرة وثماني مئة، فوجدت أصحاب الشيخ ابن عرفة متوافرين،فأخذت عنهم وحضرت مجالسهم[1] " ،ثم رحل إلى المشرق ودرس صحيح البخاري بمصر وغيره من الكتب وحضر كثيراً عند شيخ المحدثين بها ولي الدين العراقي ,وأخذ عنه علوم الحديث وأجازه بها ، يقول : "ثمّ رحلت إلى المشرق، ودخلت مصر، فلقيت الشيخ أبا عبد الله محمّد البلالي فسمعت عليه البخاري، وقرأت عليه كثيرًا من اختصاره لإحياء علوم الدين "[2]

ثم رجع إلى الجزائر في آخر سنة 820 هـ بعد غياب عشرين سنة قضاها في طلب العلم والحديث, ان للشيخ الثعالبي دور كبير في إصلاح الأحوال السياسية، حيث لم يقف موقف المتفرج المتخاذل الذي يشاهد فقط، بل كان داعية خير وجهاد [3]واستقر في

---

[1] رحلة عبد الرحمان الثعالبي وهي ضمن مجموع، تحقيق :محمد شايب شريف، عالم المعرفة، الجزائر، ص109

[2] المصدر نفسه،) ص110

[3]أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3 ، 1990 م،) ج1 ، ص 203-207)

مدينة الجزائر حيث تفرغ للعبادة ,وتعليم العلم ,ونشر الدعوة، لقد كان اجتماعيا خدوما لأهله، فكان يحث على مخالطة أفراد المجتمع والاحتكاك للتأثير فيهم والحدّ عن انحرافهم، كما لم يرض بالوضع المزري الذي يعيشه الناس بل كان ناصحا ومرشدا من خلال خطبه ودروسه[1]

إلى أن توفي عام875هـ الموافق لعام 1471م.

مؤلفاته :

1- الجواهر الحسان في تفسير القرآن ويقع في عدة أجزاء ,وهو من أعظم كتبه وأوسعها انتشاراً وأعظمها نفعاً ,وهو اختصار لتفسير ابن عطية مع فوائد زادها المصنّفوقد أشار الثعالبي في مقدمة تفسيره إلى أنّ الجواهرالحسان اختصره مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية ،قال التنبكتي " :وأمّا تآليفه فكثيرة كتفسيره " الجواهر الحسان " في غاية الحسن، اختصر فيه ابن عطية مع فوائد و زوائد كثيرة " [2].

2- قطب العارفين ,ومقامات الأبرار والأصدقاء

3-نور الأنوار ومصباح الظلام

4-نفائس المرجان في قصص القرآن

5-العقد النفيس

6-جامع الخيرات

7-جامع الفوائد

8-تحفة القرآن في إعراب بعض آيات القرآن

9-جواهر المدونة .

---

[1] الثعالبي، جامع الأمهات في أحكام العبادات، تحقيق :موسى إسماعيل، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر،) ص43

[2] - نيل الابتهاج،) ج1 ، ص2

10-جامع الأمهات في أحكام العبادات .

منهجه في العقيدة:

وقد سلك الثعالبي عدة جوانب في تقرير مسائل الاعتقاد أو بعبارة أخرى عدة مصادر:

المصدر الاول : القرآن الكريم

اعتمد الثعالبي في تفسير الآيات ومنها آيات العقيدة على تفسير القرآن بالقرآن, وهذه من أحسن الطرق في التفسير ,لإنّ الله أعلم بما أراد من الآية.

وكان الثعالبي يعتمد على الآيات القرآنية لإثبات أدلة العقائد ,ويستنبط منها آيات العقيدة ,مثل مسألة الإسراء حيث استدل بالآيات الواردة في ذلك على ثبوت الاسراء ,وأنّه اسرآء حقيقي بجسده وروحه ،كما أنّه أبطل عبادة الأصنام ,فقد استنبط من الآيات ما يدل على بطلانها، وكان الثعالبي يجمع بين الآيات الواردة في الموضوع الواحد ويوفّق بينهما ليخرج بحكم اعتقادي واحد.

المصدر الثاني : السنة النبوية

هو تفسير الآيات القرآنية ومنها آيات العقيدة بالسنّة ,وهذه المرتبة الثانية عند المفسرين ,لأنّ النبي أعلم بمراد الله من غيره ,ولأهمية تفسير الآية بالسنة ومنها آيات العقيدة اعتمد على تفسير آيات العقيدة بالسنة.

كما أنّ الثعالبي يستنبط من الأحاديث ما يدل على معتقده كما رأيناه واضحاً جلياً في مسألة الشفاعة لأهل الكبائر ,حيث استدلّ بالحديث الطويل والذي فيه اثبات الشفاعة لإهل الكبائر.

المصدر الثالث : الاجماع

الإجماع حجة على العباد ,وهو المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي لأنّ هذه الأمة لن تجمع على ضلالة وخاصة في مسائل الاعتقاد ,وما أجمعت عليه الأمة يجب قبوله والأخذ به وعدم مخالفته ,وخاصة في أمور الاعتقاد وهذا ما وقع فيه أهل البدع فقد خرقوا الاجماع في مسائل الاعتقاد فضلوا بذلك ,وابتدعوا طرقاً شتى.

على الإجماع حيث جعله دليلاً بعد السنة في بعض أمور، وقد اعتمد الثعالبي المسائل مثل مسألة عدم كفر مرتكب الكبيرة حيث يقول" :والمذنب الذي مات قبل توبته هو عند أهل السنّة تحت المشيئة) ,"

المصدر الرابع : اقوال السلف و الخلف من الاشاعرة

مما يميز أهل السنة والجماعة تمسكهم بإرث السلف الصالح ,وخاصة في أمور الاعتقاد ,لأنّهم يعرفون أنّ السلف قد التزموا واقتفوا أثر أنبئيهم ,ولم يحرفوا أو يبدلوا بل كان الواحد منهم ,يقبل ما جاء به الله ورسوله ,ولهذا مما يميز أهل السنة عن غيرهم أنّهم يفهمون النصوص العقدية بفهم السلف ,ويقتفون أثرهم في ذلك, ويقفون عند ما وقفوا عنده ,حتى جاء أناس لم تعجبهم طريقة السلف من التسليم للنصوص ,فابتدعوا واخترعوا طرقا شتى في ذلك , من تلك الطرق أنّ طريقة السلف أسلم ,وطريقتهم أعلم وأحكم,فابتدعوا في الدين ما لم يكن عليه النبي وأصحابه.

ولقد سار الثعالبي على طريقة الخلف من الاشاعرة في أبواب الإعتقاد ,وخاصة في الصفات ,وإن كان خالفهم في بعض الأمور

المصدر الخامس : العقل

أمّا موقفه من العقل فقد تتبعت تفسيره ,فلم أرى ما بيين موقفه من العقل صراحة , هل يقدم النقل على العقل ,أم العقل على النقل?ولم يتطرق إلى ذلك وقد يكون ذلك جريّا

على طريقة المفسرين القدماء ,لكن بعد تفحص كلام الثعالبي يمكن أن نستنتج عدة حقائق عن موقفه من العقل:

1- أنّه يقدم النقل على العقل في التكليف ,فهو يرى أنّه ما أقيمت الحجة على البشر إلا ببعثة الرسل ونزول الكتب ,ولا يمكن معرفة ذلك بالعقل.

ولم يصرح الثعالبي بذلك صراحة وإنما من خلال قراءة تفسير الثعالبي نرى موافقة الثعالبي في موضوع الرسل ونزول الكتب لأهل السنة وكذلك أيضا تنبيهه على أهمية الرسل ونزول الكتب لإرشاد الناس وأن العقل لوحده لا يمكن الوصول به إلى مراد الله ولا يستقل بمعرفة الشرائع.

2- أنّ أمور الآخرة وكل ما غاب عنّا لا يمكن معرفته والوصول إليه إلا عن طريق الشرع ولا مكان للعقل فيه,وهذا ما أكده في تحديثه عن أمور الآخرة.

3-أنّ الثعالبي لم يلتزم هذا الأمر وهو تقديم العقل على النقل في جميع مسائل الاعتقاد ,حيث رأيناه في مسائل الصفات يقدم العقل على النقل و لم يسلم للنصوص.

وخلاصة الكلام في منهجه,أنّ منهج الثعالبي يميل في كثير من المسائل إلى الأشاعرة ,وإن خالفهم في بعض المسائل ,واقترب من عقيدة أهل السنة ,ولم نرى تأثره بالمعتزلة أو الجهمية أوالشيعة ,أو غيرها من الفرق الضالة ,ولم يكن الرجل صوفياً" ولكن كان زاهداً"ولم يتعرض لعقائد الصوفية في تفسيره.

أهم ما يمكن أن نلخصه حول الثعالبي :

1- أهمية العناية بدراسة آراء أعلام أئمة المذاهب الاعتقادية ,وضرورة تقويمها , خاصة المتأخرين منهم لعظم أثرها ,ولإنّهم أشد تمسكا بأرآء أئمتهم.

2- انتماؤه الواضح لمذهب الأشاعرة ,وموافقته لهم في غالب مسائل أبواب الاعتقاد , وتسميته الأشاعرة بأهل السنة.

3- مخالفة الاشاعرة في بعض المسائل الاعتقادية.

4- العبادة يراها أنّها توحيد الألوهية ,وتحريم الشرك أيّا كان سببه أو الوسيلة منه.

5- ثناؤه على أئمة المتكلمين في بعض كلامه ,واعتماده على أرائهم في تقرير مسائل الاعتقاد.

6-اضطراب كلام الثعالبي في بعض المسائل مما يجعل الحكم عليه صعب.

7-وافق الثعالبي أهل السنة في مسائل وخالفهم في مسائل أخرى وفيما يلي بيان ذلك:

أ –وافق أهل السنة في اعتبار القرآن والسنة والاجماع والعقل مصادر لتلقي العقيدة وتقرير مسائلها ولم يشر إلى ذلك صراحة.

ب –يجعل العقل مرتبة بعد الكتاب والسنة في الاستدلال على مسائل الاعتقاد, ولكن لم يلتزم ذلك في الصفات وبعض أبواب الاعتقاد.

ج –في التوحيد.وافق أهل السنة في معنى توحيد الربوبية ودلائله ,وقول بعضهم بأنّ الفطرة هي الخلقة ,وخالفهم في معرفة الله بكونها معرفة كسبية.

د –في توحيد الألوهية.وافق أهل السنة في معنى توحيد الألوهية ,وأنّها هي العبادة , وكذلك وافقهم في تحريم عبادة غير حتى ولو كان بحجة طلب الشفاعة, واضطرب في تفسير معنى لا اله إلا الله ,وكذلك وافقهم في تفسير معنى الطاغوت.

هـ –في توحيد الأسماء والصفات.وافق أهل السنة في معنى الاسماء الحسنى ,وفي شرحه لبعض أسماء الله وخالفهم في بعض ,وفي اسم الله الأعظم وافق أحد الأقوال المعتبرة , وخالفهم في إعماله التأويل في نصوص الصفات ,وبعضها لم يتطرق لها بتأويل ولا إثبات.

و –مسائل الإيمان.خالف أهل السنة في تعريف الإيمان وما يدخل في مسماه كما خالف في ذلك الأشاعرة ووافق مرجئة الفقهاء ,كما خالفهم في زيادة الإيمان ونقصانه.

ز –وافق جمهور أهل السنة في تعريف الكبيرة ,ووافقهم في حكم مرتكب الكبيرة.

ح –الإيمان بالكتب.وافق أهل السنة في تعريف الايمان بالكتب ,وحكم الايمان ببعض الكتب دون بعض.

ط –الإيمان بالملائكة.وافق أهل السنة في تعريف الايمان بالملائكة ,وفي تفضيل الملائكة كان مترددا ,وافقهم في عصمة الملائكة.

ي –الايمان بالأنبياء.وافق أهل السنة عموم البعثة ,وفي جواز المفاضلة ,وفي أنّ الاسراء كان بروحه وجسده ,وأنّ الذبيح هو اسماعيل ,وخالفهم في القول بالعصمة مطلقاً.

ك –الإيمان بالقضاء والقدر.وافق أهل السنة في بعض مراتب القدر ,وترددت في الحكم عليه في مسألة خلق أفعال العباد ,وفي الهدي والضلال ,ووافقهم في القول بالحكمة والتعليل في أفعال الله ,وخالفهم في الحسن والقبح.

ل –الإيمان باليوم الآخر.وافق أهل السنة والجماعة في إثبات عذاب القبر ونعيمه, وفي اثبات البعث ,وفي الصور ,والصراط ,والميزان ,والشفاعة.